الفاشية
بين النظرية والتطبيق

7

ما بعد ١٩٣٣
Beyond 1933

---

obeikan.com

obeikan.com

في خضم النقاش الدائر بين المسؤولين الماركسيين الذين يمثلون اليسار أو اليمين من النظريات الفاشية و المنشقين الماركسيين الذين تبنوا النظرية الجدلية للفاشية ، كان النتيجة اختلاف تحليلاتهم بشأن الخطر الذي يشكله ظهور الفاشية في ألمانيا. وبالنسبة للماركسيين المنشقين ، فقد حددوا المطلوب بدقة وهو عملية توحد للطبقة العاملة لوقف الفاشية. واختلفت الآراء الماركسية الرسمية مابين أن يتم التغلب على الفاشية ، أما عن طريق معاداة النخب التقليدية لها ، أو عدم قدرة الفاشية على هزيمة الطبقة العاملة ، وبالتالي كان شعار الحزب الشيوعى KPD ، «بعد هتلر ، نحن».

إن اللا مبالاة المشتركة من كل من الحزب الديمقراطي الاشتراكي ،والحزب الشيوعى الممثلة فى قولهم :« فقط اسمحوا للنازيين بالمحاولة». كانت نتيجتها هزيمة كارثية لكلاهما . فقد دعي هتلر إلى منصب المستشار في ٣٠ يناير ١٩٣٣ ، وفي غضون أسبوع ، تم حظر الحزب الشيوعي ، وفي غضون خمسة أشهر ، كان هناك أيضا حظرٌ على الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

وتم سجن المعارضين البارزين في النظام ، أو قاموا بالهروب ، وأخذت النقابات تحت سيطرة الدولة. وكان تأثير هذه الكارثة تشويه سمعة كل من كان له نظرية رسمية معادية للفاشية . ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح خاصة في حالة نظرية اليسار.ففي نهاية كانون الأول عام ١٩٣٣ ، كان الشيوعيون الفرنسيّون لايزالون يرددون بأن الفاشية من شأنها أن تعجل بالساعة التى ستحدث فيها ثورة الطبقة العاملة ، كما يدعى الحزب الشيوعى البريطانى بأنه يمكن للبروليتاريا قهر السلطة فقط عن طريق المرور من خلال جحيم الديكتاتورية الفاشية.

و ومع ذلك ، وفي عام ١٩٣٤ ،تغير الخط الرسمي الكومنترن ، وتم قبول أن تبنى نهج أقصى اليسار للفاشية الاجتماعية كانت على خطأ تماما. وفي آذار / مارس

١٩٣٥ ،قام موريس توريز Maurice Thorez ، زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي ، بصياغة مصطلح «الجبهة الشعبية» ، لتغطية الاتفاق المقترح بين الطرفين من «الطبقة العاملة في فرنسا» و «حزب البرجوازية الصغيرة الراديكالي» . وأدت هذه المبادرة إلى نظرية شيوعية جديدة عن الفاشية ، والذي صدر في المؤتمر السابع للأممية الشيوعية ، في آب / أغسطس ١٩٣٥ . فقد تم تعريف الفاشية الآن باسم : « دكتاتورية إرهابية أكثر رجعية »، وشوفينية و أكثر العناصر إمبريالية للرأسمالية. (الشوفينية هى المغالاه فى الوطنية العدوانية ، وأصل الكلمة مستمد من نيكولا شوفان ، وهو شخص قدم وطنيته وإخلاصه بإفراط لنابليون)

ومن ناحية الممارسة العملية ، كانت وظيفة هذا التعريف تضييق القاعدة الحقيقية للفاشية إلى أدنى حد ممكن ، وتشير إلى أن أي طبقة اجتماعية ، يمكن أن تكون معادية للفاشية إلا الإمبريالية الأكثر تطرفا. وهذا التعريف الجديد مجهز بشكل جيد مع النهج الجديد للتكتيكات المناهضة للفاشية. بينما قبل عام ١٩٣٣ ، أيد الكومنترن التكتيك المسمى «الجبهة المتحدة الثورية من أسفل» ، وهولا يمثل وحدة وطنية مع أي شخص ، وبعد عام ١٩٣٥ ، كان اسم « الجبهة الشعبية» يعني وحدة وطنية مع أي شخص. و لذلك كان تأثير نظرية الكومنترن الجديدة عن الفاشية ، إحياءًا لفكرة اليمين القديمة للفاشية ، لأنه إذا كانت فقط طبقة صغيرة من الرأسماليين المتطرفة فاشية حقا ، فبالتالى ليست هناك حاجة لمعرفة أي صلة حقيقية بين الرأسمالية والفاشية على الإطلاق لأنهما نفس الشيء.

والغريب ،أنه قد تمت مناقشة خط الجبهة الشعبية ثم فوزها داخل الأحزاب الشيوعية من قبل نفس الجيل الذى كان متواجدا في المناصب القيادية في عام ١٩٢٨ . في ما يقرب من جميع الأحزاب الشيوعية لبريطانيا العظمى CP ، كانت قيادات اليسار التى تم تثبيتها أثناء الفترة الثالثة هى التى عملت على تنفيذ

الاستراتيجية اليمينية للجبهة الشعبية. ويمكن رؤية آثار هذه الاستراتيجية الجديدة في اسبانيا. فالجبهة الشعبية هناك مؤلفة من اثنين من الأحزاب البرجوازية ومن الاشتراكيين ، والشيوعيين ، وهو حزب نقابية مستقلة وحزب « بوم »POUM الماركسي (وكان حزب شيوعي ثوري لمكافحة الستالينية(، واتحدوا معا من أجل الفوز في انتخابات شباط / فبراير ١٩٣٦ . وبعد خمسة أشهر ، وفي تموز / يوليو ، بدأ الجنرال «فرانكو» الانتفاضة العسكرية ضد الحكومة المنتخبة. وعلى الفور ، تم إجبار قوات فرانكو للتراجع بواسطة انتفاضات ناجحة للعمال 'في شمال إسبانيا ، وأشهرها في برشلونة. ثم جاءت مسألة التكتيكات في المقدمة ، وانقسمت الثورة الأسبانية إلى معسكرين. فمن ناحية ، كان هناك أولئك الذين اتبعوا منطق للجبهة الشعبية في زعمها أن انتصار الحرب تطلب إنهاء الثورة من قبل اليسار ، واستعادة الديموقراطية البرجوازية ، ونزع سلاح ميليشيا العمال ، والسعى لإيجاد تحالف مع بريطانيا و فرنسا.

من ناحية أخرى ، كان معسكر مكون من أفراد من الماركسيين والفوضويين الذين أصروا على أن الثورة كانت في الواقع شريان الحياة للحكومة ، وأن نزع سلاح ميليشيات العمال كان سببا لضياع الحرب. ففي إسبانيا ، قام الحزب الشيوعي ، بنزع سلاح الثورة ، وفرضت الشرطة الإرهاب على حلفائها السابقين في معسكر الثورة. وشهدت الحكومة وحدة وطنية لمكافحة الفاشية وكان من بين أعداء تلك الحكومة المناهضة للفاشية مناهضيين للفاشية أيضا ، ولكنها قامت بذبحهم وبعد أن ذبحتهم ، هي نفسها تم تدميرها بواسطة الجنرال فرانكو.

في حين أن الكومنترن انقلبت من نظرية اليسار مباشرة إلى نظرية اليمين للفاشية ، كما أن العديد من الاشتراكيين الألمان أو النمساويين انتقلوا من نظرية اليمين إلى النظرية الجدلية للفاشية. في الواقع ،و بصرف النظر عن تروتسكي ، نجد أن أهم

النظريات عن الفاشية جاءت من الجناح الأيسر للأحزاب الاشتراكية. وهناك عدد من الديمقراطيين الاجتماعيين ، بما في ذلك «رودولف هيلفردينغ» Rudolf Hilferding و «الكسندر شيفرين» Alexander Schifrin الذان رأيا ضرورة النضال ضد الفاشية والذي من شأنه أيضا أن يكون نضالا ثوريا ضد الرأسمالية. وتجسدت هذه الاستراتيجية في بيان براغ للحزب الاشتراكي الديمقراطي ، والذي نشر في شباط / فبراير ١٩٣٤.

وفي الوقت نفسه ، وافق العديد على أن الأساس يجب أن يكون النظرية 'اليمينية السابقة للفاشية ، والحجة القائلة بأن 'الرأسمالية الجديدة المنظمة' كانت تتحرك في فترة تتمتع فيها بالاستقرار المطلق ، لم يعد أساسا قابلا للاستمرار و الاستدامة. ونتيجة لذلك ، كان هناك تنامى هائل فى الاهتمام بطبيعة العلاقة العضوية بين الفاشية ورأس المال. ففى تحليل «ريتشارد لووينثال Richard Löwenthal » للارتباط المتزايد بين رأس المال واحتكار الدولة ، رأى توجهين لرأس المال ، أحدهما من أجل السيطرة الديمقراطية أو الاشتراكية ، والتوجه الآخر يتعامل مع «الركود ، الاكتفاء الذاتي ، الدول القومية البيروقراطية ، بما في ذلك الفاشية. ووضع أوتو باور Otto Bauer تحليلا مماثلا ، والذي ربط فيه الفاشية بظهور ما أسماه بـ «إدارة الاقتصاد». و توقع «أوتو باور» من هذه النظرية ، مثله مثل« ليون تروتسكي »، أن الفاشية من شأنها أن تؤدي إلى الحرب. و أفضل التعريفات من هذه المدرسة جاءت في كتابات رودولف هيلفردينغ ، الذي وصف الفاشية بأنها شكل من أشكال الرأسمالية ، أو «الاقتصاد الشمولي ».

وقال كارل كورتش Karl Korsch وهو عضو بارز سابق في الحزب الشيوعى KPD ، انه يؤيد كثيرا النظرية الفاشية الاجتماعية ، وتأثر بأفكار المجلس الشيوعي ، وبدا أنه يتقارب مع النظرية الجدلية. و أصر كورتش على أن الفاشية كان

لها دعم شعبي فيقول: تغذت الفاشية على الفشل والأخطاء التي ارتكبها ما يسمى بـ«نظام السياسيين»، وقامت الفاشية بوضع الحلول الملموسة لعدد من المشاكل، سواء في المجالات الاقتصادية والسياسية التي أهملت من جراء المواقف الغير اشتراكية للاشتراكيين والسلوك غير الديمقراطي للديمقراطيين.

وأصر أيضا على أن الحركة الفاشية تعادى الأساليب المفضلة للطبقة الرأسمالية فيقول: إن التحول إلى شكل جديد من المجتمع الرأسمالي، لم يعد يمكن تحقيقه بالديمقراطية والوسائل السلمية الاشتراكية التقليدية والعمل النقابي، بل يمكن تحقيق ذلك عن طريق الأهداف المعادية للثورة والمعادية للبروليتارية.

جنبا إلى جنب مع منظري المدرسة الجدلية، أصر كارل كورتش أيضا على التناقض بين الوعود الفاشية ونتائج الحكومة الفاشية فيقول: "تستعرض النازية مشهدا يجعلها تبدو كعمل ثوري وهي في الوقت نفسه تبذل محاولات للسيطرة لأدنى حد ممكن على النتائج التخريبية المحتمة الخاصة بها.

وتقاسم عدد من الماركسيين المعارضين الاهتمام المتزايد لوضع تفسيرات أكثر تطورا لوصف العلاقة بين الفاشية من جهة والرأسمالية من جهه أخرى. وفي عام ١٩٣٤، استخدم «أجنازيو سيلون» تحليلًا مماثلًا لتحليل «هيلفردينغ» لتصنيف الاقتصاد الفاشي قائلا: نوع جديد من الدولة المؤسسية، التي شيدت على العلاقات الاقتصادية لرأسمالية الدولة.

وأعقب سيلون دانيال جيرانDaniel Guérin. وهو صاحب كتاب مسمى بـ«الطاعون البنى»، الذي كتبه في عام ١٩٣٤ وسجل فيه تجربة ضحايا الفاشية. وفي كتاب آخر باسم « الفاشية ورجال الأعمال الكبار (١٩٣٦)»، لم يربط بين صعود الفاشية و تفكك الرأسمالية خلال فترة الأزمة وحسب، بل قام أيضا بتوضيح هذا الأمر من خلال التفريق بين الصناعات الثقيلة والخفيفة.

وقال جيران: إن الصناعة الثقيلة كانت مبنية على أعلى استثمار في رأس المال الثابت و لذلك اضطرت للعمل ضمن حدود أضيق للربح. و نشر جيران العديد من الأدلة التى تشير بأن الفاشية في كل من إيطاليا وألمانيا كانت 'مدعومة من قبل أقطاب الصناعة الثقيلة (الحديد والصلب والتعدين) وكبار المصرفيين الذين لديهم حصص في الصناعات الثقيلة. و في كلا البلدين ، سعت الصناعات الثقيلة لمواصلة النضال الطبقي حتى يتم سحق البروليتاريا. ومن تحليل جيران ، يمكن أن نرى كيف أن تلك الفاشية أدت إلى الحرب وقد صاغ جيران ذلك كما يلى:

(الفاشية والحرب) وأسبابها التى تكمن فى نقطتين : **أولا** : عدم التوافق بين التطور الهائل للقوى المنتجة ، والملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، **وثانيا** : أن تقسيم العالم إلى دول قومية. كل منها يطمح ، من خلال طرق مختلفة ، لكسر الحلقة الحديدية للتناقضات التي فرضها عليهم هذا النظام. وكل منها يهدف لاستعادة الأرباح الرأسمالية المهددة بالزوال.

وفي الوقت نفسه ، كان هناك إحياء للاهتمام بالنصف الآخر الذى جاء فى النظرية الجدلية ، والذى يتعلق بإنشاء الحركة الجماهيرية للفاشية. فهناك عدد من الماركسيين سعوا إلى استخدام وجهات نظر علم النفس لتحليل سمات الشخصية الفاشية. وكان أول هؤلاء هو «وليام رايش»، في كتابه المسمى « علم النفس الجماعى للفاشية (١٩٣٣). وبالنسبة للرايخ ، كانت لأزمة من ١٩٣٠ هى «أزمة جنسية» . فقد كانت الرأسمالية في أزمة ، وتعطلت الهياكل التقليدية والحياة الجنسية للأسرة. وكانت الثورة الروسية قد أفسحت المجال للمساواه فى الجنس و الإباحية . أما الفاشية فكانت عكس ذلك فيما يتعلق بالحرية الجنسية ، وكان سلوكها يمثل فشلا للإبداع الإنساني ، وكانت استجابتها« سادية» بشأن تلك الأزمة ،حيث تتمثل استجاباتها بالقول التالى قمع المشاعر العاطفية لرجال حضارتنا وإحياء نظرة

الرجال الأسطورية للحياة.

وكان أهم الماركسيين الفرويديين (نسبة إلى فرويد) أعضاء فى مدرسة فرانكفورت ، بما في ذلك« إريك فروم» و«ثيودور أدورنو». ووفقا ل«فروم» في كتابه المسمى «الخوف من الحرية (١٩٤٢) » ، يذكر فيه أن الفاشية هى نتاج الرأسمالية ، إن تلك الفاشية كانت نمط صناعي ومصطنع للإنتاج الذي كان أبعد ما يكون من أن يكون اقتصادا طبيعيا. و تناول «فروم» فكرة ماركس بأن العمل في ظل الرأسمالية يسبب النفور من العمل ، وحيث لا يمكن السيطرة على العامل ، وأنه نتيجة لهذا النفور الجماعي ، أن يتميز كامل هذا المجتمع بالقهر والبؤس والعوز. وعلى عكس ماركس ، يرى «فروم» عمليات النفور تلك باعتبارها رفضا للطبيعة البشرية. وقال : إن التصرفات الطبيعية للبشر تتمثل في الحرية الاجتماعية والجنسية. وفي ظل الرأسمالية يمكن للفرد فقط أن يعارض أو يؤكد على هذا النفور والشعور بالاغتراب ، وكان الحل لتلك الأزمة الرأسمالية يتمثل إما فى الاشتراكية أو الفاشية : الرجل يجب أن يتوحد مع العالم عن طريق الحب بعفوية والعمل المنتج ، والسعي لتحقيق نوع من الأمن ، ولكن مثل هذه العلاقات مع العالم قد تدمر حريته.

أقرب إلى أفكار «سيجموند فرويد» أكثر منها تقليد لماركس. كان الماركسيون الفرويديون أحرص على التأكيد على أنهم ليس لديهم أية أفكار ثابتة عن الطبيعة الجنسية البشرية. وأصر «فروم» أن بعض « الظروف الاجتماعية» قد تعمل على تحويل مطالب الإنسان البيولوجية الأصلية «وأنه يمكن استخدام علم النفس كوسيلة لفهم الأيديولوجيات ودور تلك الأيديولوجيات في صنع التاريخ.

ولكنه لم يقصد من مثل هذه النظريات أن تفسر الأمور وحدها. ففي حالة «مدرسة فرانكفورت» ، على سبيل المثال ، عمل علماء النفس الاجتماعيون جنبا إلى

جنب مع الماركسيين الأكثر تقليدية ، الدين شرحوا صعود الفاشية ، بأنه جاء بناءً على ظهور رأسمالية الدولة ، أو لظهور لاستراتيجيات الرأسمالية من أجل البقاء. وعند الجمع بين وجهتى النظر السابقتين ، وضمهما فى نظرية واحدة ، يرى واضعوا تعريف الفاشية بأنها وثيقة الصلة بالجدلية.

لكن العديد من أعضاء مدرسة فرانكفورت ، وحتى هؤلاء الذين كانوا في الأصل ليست لهم علاقة بعلم النفس الاجتماعي ، سرعان ما وجدوا نفسهم يبتعدون عن أي تعريف متعارف عليه للماركسية. فقد احتج «ماكس هوركهايمر Max Horkheimer ، على سبيل المثال ، قائلا :« من لا يريد أن يتحدث عن الرأسمالية ينبغي أن يصمت عن الحديث على الفاشية. و بعد عام ١٩٤٠ ، انتقل «ماكس هوركهايمر» نحو فكرة أن الفاشية كانت قادرة على فصل نفسها عن القوانين الاقتصادية للرأسمالية. و قام بتعريف ألمانيا الفاشية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بأنها : « دول استبدادية تديرها طبقة حاكمة إدارية» ، وأصر «هوركهايمر »على أن الاشتراكية ، بالمعنى الذى أورده كل من ماركس وإنجلز قد لا يتعدى حدود الكلمة ، وأصبحت الآن أحلام يقظة مستحيلة.

ويمكن تفسير هذ الجدل بطرق كثيرة ، ولكن من الصعب أن ينظر اليه على انه تفسير ماركسي.